

والإلزام نقىض الحرية وعصرنا الذي بهم بالحرية وبعدها حقاً شرعياً للفرد والجماعة ، وقيادة الجماهير والشعوب وجداها إذ تخوض معاركها الباسلة من أجل التحرر فكيف يتصور أن نعطل حرية الفن ونقيده بأغلال الإلزام ، ثم نرجوه لمثل هذه الأمانة الصعبة ؟ واختلاف النظرة إلى الحرية باختلاف البيئات والصور ، ولكن يبقى هناك دائماً أن الإنسان تطلع إلى الحرية منذ كان ، ويتجه في مسعاه إلى الحرية بتأثير الدوافع المادية فحسب ؟ هكذا تقول النظرية الماركسية في التفسير المادى للتاريخ لكنها لا تعطينا تفسيراً مقنعاً ، يكفي لأن يعطى قيمة جديدة للحرية في عصرنا ، لا تقوم حياته بدونها وأقول إنسانية الإنسان ، حيث الطعام وافر وال حاجات المادية مقضية ميسرة ٢٤٠ ومفهوم الحرية في الأدب والفن ، لا ينفصل عن مفهوم الحرية العامة التي يدين بها إنسان العصر إن الحرية لا تعنى الإباحة والفوضى والتحلل ، واحتلاط مفهومها بشوائب ضالة من الفوضى والتحلل والإفلات . فالالأصل في الحرية على غير ما يتصور بعضا ، أن تكون قيادة والتزاماً وجواهر الفرق بينها وبين العبودية أن قيود الحر مفروضة عليه من تلقاء نفسه ، أما قيود العبودية فيفرضها الغير قسراً ، على وجه القهر والإلزام . وحرية الكلمة أرقى أنواع الحريات لأنها أداة التعبير الحر ، ومظهر الاحترام لكرامة الإنسان في أخص ما يميزه عن الحيوان الأعمى . • وحين تمارس حرية الكلمة في المجال العام تزيد مسؤوليتها خطراً ، لا يتجاوزه إلى سواه ، إلى النطاق الجماعي للأمة وهذا التقدير لحرية الأديب ، حين يتحتمل ، بمقتضى حقه في حرية الكلمة ، تبعه المشاركة في التوجيه الفكري للأمة والتأثير على وجданها العام ، وأبسط تفريط في هذه التبعات أو تهاون بتلك القيود ، يضع الأديب والناقد دون مستوى الحرية للكلمة المسئولة قائدة وناقدة لكنها قيود تفرضها قوانين الفن ، ويلتزم بها الأديب الحر دون أن تجبره عليها سلطة آمرة ! فمن الجانب الفني ، باسم الحرية ، من جهد البناء الفنى وعناء المكافحة الخالفة ، والتحلل من القوانين والضوابط الفنية الجمالية ، وينزع منه . زمام القيادة المعنوية التي تعتمد عليها الأمة في حماية وجودها وحراسة مثلها ومن الجانب الموضوعي ، لا يجوز أن ننسى أن حرية الأديب هي حرية فرد في مجتمع وليس حرية فرد في الخلاء وكما أن ممارسة الأديب لحريته كاملة ، كما أن خيانة جندي يبيع سيفه لأعداء وطنه ، تهدر حقه في الحياة ، دون أن تمس شرف الجندي أو تصممها بالعار ! خلاصة الموقف أن للحرية في الأدب حرمتها وقداستها ، لكن بشرط أن يتحرر مفهوم الحرية فلا يختلط بالتحلل والابتذال ،